

حضرة سيدنا الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه

انتقل هذا السر الأعظم إلى حضرة الإمام الرحيم الناطق بالعلوم اللدنية والجواهر

الربانية

ذو الزمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أقبل على العبادة والخشوع وآثر العزلة والخشوع ونهى عن الرئاسة والجموع، فاشتهر بالعلم الوفير والزهد والتواضع سالكاً في الطريق القويم على هدى سيد المرسلين ع ، فكان للرب طائعاً وللحبيب محباً وفي طريق

الصدّيق

الأكبر إماماً وعلماً، فهو الكبريت الأحمر وقطب زمانه وغوث الأنام في عصره ذو الجناحين وملئى البحرين، متورثاً من الصدّيق الأكبر صدّيقته ومن علي كرم الله وجهه متورثاً سر حقائقه ليكون مظهراً لباب مدينة العلم حيث يقول النبي ع «أنا مدينة العالم وعلي بابها» . فكان إماماً ومرشداً ومربياً للسالكين وللأمة ولأئمة الطريقة الصدّيقية أي " النقشبندية العلية " ليورثهم سر الصدّيق وسر علي المرتضى ليصبح كل من عقبه من المشايخ العظام، أعلام الطريقة، بعده أئمة رافعين راية الأسرار المحمدية وسر الطرق والسبل الموصلة إلى محيطات بحر الوحدانية . ليكونوا مظهراً لسر النبوة وكمال الوراثة المحمدية، مظاهر العلوم اللدنية التي صبت في صدر الصدّيق الأكبر وصدر سيدنا علي الإمام الأكرم .

فهو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضوان الله عليهم، كان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، ورث مقام سر النبوة والصدّيقية فازدهرت في طلعتها البهية أنوار العلوم والمعارف الحقيقية، فجدّه سيد الشهداء الإمام الحسين رضي الله عنه وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم . أخذ الحديث عن أبيه وجدّه لأمه وعروة وعطاء ونافع والزهري وعنه أخذ السفينان ومالك والقطان وخرج له الجماعة .

كانت ولادته سنة ثمانين للهجرة وهي سنة سيل الجحاف يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان .

وقيل إن التصوف إنتفاع بالسبب وإرتفاع في النسب فكل حياته عطاء وكرم، وكيف لا، وهو نسل سيد المرسلين ع حتى قيل إذا نظرنا إلى جعفر بن محمد علمنا أنه من سلالة النبيين، فكان يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء . نشر العلم بشقيه الظاهر والباطن، علم القال وعلم الحال، دائماً في محرابه مصلياً خاشعاً، فهو القائل : الصلاة قربان كل تقى، والحج جهاد كل ضعيف، وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل كالراعي بلا وتر، واستزلوا الرزق بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وما عال من إقتصد، والتدبير نصف العيش، والتودد نصف العقل، وقلة

العيال أحد اليسارين، ومن أحزن والديه فقد عقهما، ومن ضرب يده على فخذة عند مصيبيته

فقد حبط أجره، والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي حسب ودين، والله تعالى منزل

الصبر على قدر المصيبة، ومنزل الرزق على قدر المؤونة، ومن قدر معيشته رزقه الله

تعالى، ومن بذر معيشته حرمه الله تعالى . أدركه الإمام أبو حنيفة النعمان وسلك على يديه

بما رأى عنده من علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين . وكان حاله في تعرفه عليه أنه يوماً

من الأيام دخل عليه هو وعبد الله بن محمد ثنا الحسن وابن أبي ليلى فقال سيدنا جعفر

الصادق لابن أبي ليلى من هذا معك ؟ قال هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين، قال : لعله

يقيس أمر الدين برأيه قال : نعم . قال : فقال جعفر لأبي حنيفة ما اسمك ؟ قال : نعمان، قال

: يا نعمان هل قست رأسك بعد ؟ قال : كيف أقيس رأسي ؟ قال : ما أراك تحسن شيئاً، هل

علمت ما الملوحة في العينين والمرارة في الأذنين والحرارة في المنخرين والعذوبة في

الشفيتين ؟ قال : لا، قال : ما أراك تحسن،

قال : هل علمت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان ؟ قال ابن أبي ليلى : يا ابن رسول الله ع

أخبرنا بهذه الأشياء التي سألتها عنها . فقال : أخبرني أبي عن جدي أن رسول الله ع قال :

« أن الله تعالى بمنه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمتان ولولا ذلك

لذابتا، وأن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الأذنين حجاباً من

الدواب فإن دخلت الرأس دابة وإلتمست إلى الدماغ فإذا ذاقت المرارة إلتمست الخروج،

وأن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق بهما
الريح لولا ذلك لأنتن الدماغ، وأن الله تعالى بمنه وكرمه ورحمته لإبن آدم جعل العذوبة في
الشفقتين يجد بهما إستطعام كل شيء ويسمع الناس بها حلاوة منطقه». قال فأخبرني عن
الكلمة التي أولها كفر وآخرها إيمان، فقال : إذا قال العبد "لا إله" فقد كفر، فإذا قال "إلا الله"
فهو إيمان. ثم أقبل على أبي حنيفة فقال : يا نعمان حدثني جدي أن رسول الله ع قال : « أول
من قاس أمر الدين برأيه إبليس. قال الله تعالى له : أسجد لآدم، فقال : أنا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين. فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس لأنه
إتبعه بالقياس ». ثم قال جعفر أيهما أعظم قتل النفس أو الزنى ؟ قال قتل النفس، قال فإن
الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنى إلا أربعة . ثم قال أيهما أعظم
الصلاة أم الصوم ؟ قال الصلاة، قال : فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟
فكيف ويحك يقوم لك قياسك ! إتق الله ولا تقس الدين برأيك .

وهكذا إتخذ سيدنا أبو حنيفة سيدنا جعفر الصادق شيخاً له ليوصله إلى الحقائق الدنية
ويكشف عنه الحجب فيتحقق بمقام البقاء بعد الفناء .

ويقول " لولا سنتان لهلك النعمان " لأنه بعد سنتين من سلوكه توفي سيدنا أبو حنيفة

النعمان . كذلك إتخذ سيدنا مالك بن انس أستاذاً وشيخاً ومربياً له في طريق الصدق

والوصال ليتحقق بالبقاء في الله بعد الفناء فيه فأقواله وحكمه كثيرة ووفيرة، فهو مربى العارفين وإمام الزاهدين في عصره. دخل عليه سفيان الثوري يوماً وكان على سيدنا جعفر جبة خز دكناء وكساء خز إيرجاني فجعل ينظر إليه معجباً . فقال يا ثوري ما لك تنظر إلينا لعلك تعجب مما رأيت قال قلت : يا ابن رسول الله ع ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك . فقال لي: يا ثوري كان ذلك زماناً مقفراً مقترأً وكانوا يعملون على قدر إقفاره وإقتاره، وهذا زمان قد أقبل كل شيء فيه عز إليه، ثم حسر عنن دون جبته وإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن فقال له يا ثوري لبسنا هذا الله وهذا لكم فما كان الله أخفيناها وما كان لكم أبديناها .

وكانت كراماته كثيرة لا تعد ولا تحصى ولا يدعو إلا ويستجاب له كيف لا وهو ابن رسول الله ع ظاهراً وباطناً وإمام الأولياء والأئمة والأئمة، خرج الطبري عن طريق وهب قال سمعت الليث بن سعد يقول حجبت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس فإذا رجل جالس يبعو فقال يا رب حتى إنقطع نفسه ثم قال يا حي يا حي حتى إنقطع نفسه، ثم قال إلهي إني إشتهيت العنب فأطعمنيه، وأن بردي قد خلقا فأكسني، قال الليث : فما أتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً وليس على وجه الأرض يومئذ عنب وإذا ببردين لم أر مثلهما فأراد الأكل فقلت أنا لشريكك لأنك دعوت وأنا أو من فقال : كل ولا تخبئ ولا تدخر، ثم دفع إلي بأحد البردين فقلت لي عنه غنى فاتزر بأحدهما وإرتدى بالآخر ثم أخذ

الخلعتين ونزل فلقيه رجل فقال ألبسني يا ابن رسول الله ع فدفعهما إليه، فقلت من هذا ؟ قال جعفر الصادق، قال الليث : فطلبته لأسمع منه فلم أجده .

كان رضي الله عنه يتقرب منه الخلفاء والعلماء والفقهاء ويجلسون في مجلسه ليحصلوا من علومه وأنواره وتفيض قلوبهم بحب الله ورسوله، ويعلم الناس محبة بعضهم البعض وحسن الظن ببعضهم والتواضع فيما بينهم . فيقول : إذا سمعتم عن مسلم كلمةً فأحملوها على أحسن ما تجدون، حتى لا تجدوا لها محملاً فلوموا أنفسكم . وله مؤلفات عبارة عن رسائل وهي خمسمائة رسالة كلها حكم وعبر وأحكام وتشريع وهدى للطريق الموصل إلى السميع العليم .

وفي خضم هذا الجهاد العظيم وإرشاد الخلق للخالق وخدمة الفقراء والمساكين، توفي رضي الله عنه في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة المنورة ودفن في جنة البقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين . آمين .

وورث هذا السر الأعظم والنفس القدسي الأقدس لمن رباه روحانياً فأحسن تربيته وأكمل له خلواته ووقف على أحواله بتربية أويسية وأسرى إليه سر هذه النسبة الشريفة للطريقة العلية، حضرة سيدنا أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه، آمين .

سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه

حياته المعنوية قدس الله سرّه

سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكرم الله وجهه ولد في سنة ثمانين للهجرة يوم الثلاثاء في الثالث من شهر رمضان المبارك وقت طلوع الفجر في المدينة المنورة وانتقل في سنة مائة وثمان وأربعون للهجرة في الرابع من شهر شوال يوم الأحد بعد الإشراق ودفن في جنة البقيع (مدافن المدينة المنورة) .

كان مثل سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وحاجباه متصلان طويلاً لونه لون البر وعينه واسعان قليل البياض كثير السواد، لحيته سوداء عريضة جداً، جسمه طويل مثل جسم الإمام الأعظم، كان ذا جسم عظيم ليس مثله في عصره، صوته رفيع يسمعه من في خارج القرية وكأنه في قربه، ويختلف أصواته بحيث يطابق أحوال وطبائع أفراد الإنسان بصوت واحد خارج منه مرة .

فقبل ولادته ذهب أبوه محمد الباقر رضي الله عنه إلى زيارة النبي ع ليلة الثالث من شهر شعبان المعظم وختم كلام الله تعالى في الروضة وأعطى ثوابه للرسول ع ولكل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بذكر أسمائهم فرداً فرداً، وجلس بعده على المناجات ودعى الله تعالى وقال :

"يا رب كن لي ناصراً ومعيناً في الخاتمة ومعيناً في اللحد المظلم وفي المحشر" . فعرض له هنالك نوم فرأى النبي ع في المنام فقال له يا ولدي جئت إليك بالبشارة العظيمة ثم قال له يظهر منك شمس معنوي يوم الثالث من شهر رمضان يوم الثلاثاء وقت طلوع الفجر ويكون كلامه مثل كلام الأنبياء ، والحاصل أن القصد يتكلم مثل كلام سيدنا إبراهيم الخليل وأولي العزم من الرسل يكون كلامه مثل كلامهم، وهكذا بعد ولادته أقام أبوه محمد الباقر رضي الله عنه مولداً تصدق فيه بجميع ماله، وكان في تلك الليلة يصلي التهجد فبعد تمام ركعتين حضر رسول الله ع يقظة وقال له يا ولدي بسبب صدقتك هذه وببركتها يظهر من نسلك أحد وخمسون رجلاً كاملاً يحصل منهم للأمة منفعة عظيمة كما حصل المنفعة والهداية من الأنبياء الماضين لأممهم، ثم قال رسول الله ع يكون لأمتي منهم مثل ما يكون مني من الرحمة والألطف ما لم يتقربوا إلى أبواب السلاطين، ثم قال محمد الباقر رضي الله عنه للرسول ع إلا يصح أن أأزم الدعاء بعدم تقربهم إلى أبواب السلاطين ، فقال له إني أتممت أمرهم على وفق مرادك هذا وأنت تدعو لغيرهم الذين يجيئون بعد من المسلمين، ثم قال يا جدي هل هذا قضاء مبرم، فقال إن لكون هذا الأمر قضاء مبرماً يوجد له شرائط وأولها

وجود تلك الصدقة وقد تم والحمد لله وثانيهما أن تلازم الدعاء إلى بلوغ هذا الولد ، بذكر أسماء الأنبياء والمرسلين وسعداء أمهم ورسول الملائكة فرداً فرداً، فقال محمد الباقر ألا تكون هذه الوظيفة حملاً ثقيلاً لمثلي الضعيف، فتكلم ذلك الرضيع جعفر والذي هو في اليوم الثامن من ولادته خطاباً لأبيه الباقر وقال له : يا أبي أنتعب جدنا ع فإنه يجيء بعدي بأربعين سنة غلام لا يأكل ولو لقمة واحدة ولا يشرب ولا ينام إلا بذكر أسماء المرسلين والأنبياء والصحابة وسعداء أمهم من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة هكذا عاهد وواعد مع الله تعالى مع كون أبويه مجوسيين، وكان هذا إشارة إلى أبي يزيد البسطامي قدس سره، فكيف تقو ول للجد هذا الكلام ولأي علة تراه أمراً عظيماً مع أنك من نسله وقد اجتمعت معه يقظة ومشافهة، فبعد ذلك صار الباقر في راحة عظيمة، وقال له أيضاً إن الله تعالى ينزل سبع عنايات على كل واحد ممن ذكرت أسمائهم، ثم قال له الرسول ع يا ولدي إن طفلك هذا قد أدبك أدباً حسناً . فمنذ ذلك اليوم كان يدعو الله تعالى كما أمره الرسول ع ولا يرد يديه إلا بعد سماعه التأمين من كلا الملائكة وكان يختم كل يوم وليلة ثلاثمائة وواحد وخمسون مرة كلام الله تعالى (القرآن الكريم)، وبعد مضي سبعة أشهر قال له الرسول ع الآن قد وقع ذلك القضاء مبرماً .

فحين بلغ سيدنا جعفر الصادق سن الثانية عشر قال له أبوه محمد الباقر تكلم بلسان وصوت إبراهيم الخليل عليه السلام وكان إبتداء كلامه الذي يتكلم بكلام الأنبياء فابتدأ للكلام كما أمره أبوه، فإذ بجميع أرواح الأنبياء مع سيدنا إبراهيم عليه السلام قد حضروا ومنذ ذلك الوقت لم تفارقه أرواحهم في كل المجالس ولو قدر ساعة، ولما كان يذهب للزيارة إلى جنة البقيع فكان يحضر أرواح أهلها إليه وبينهم أبوه الباقر، ثم يتكلم في مجلسهم بلسان إبراهيم الخليل عليه السلام وكان يسمع في ذلك المجلس مناجات الأنبياء والمرسلين في حقه ويحصل له من ذلك المجلس درجة وثواب مقابل كل صوت من أصوات جميع الموحدين من آدم إلى الخاتمة على عدد الملائكة الخادمين في البقيع .

وذهب مرة إلى جنة البقيع للزيارة فأراد من الله تعالى أن يبين له ويعلمه أسماء أولئك الكاملين الذين يجيئون بعده ومن نسله، فأجاب الله تعالى دعائه وعلمه أسمائهم كلهم وخاصة الإحدى وخمسين منهم وآخرهم كان محمد شاکر وهو من السعداء الماضين والذي توفي في عهد سيدنا الشيخ شرف الدين الداغستاني قدس سره كان محمد شاکر يسكن في أشترخان وانتقل هناك، وقد حصل لأهالي قازان بسبب بركته أشياء كثيرة حصلوا فيها رضاء الرسول . ع

وإن هؤلاء الكاملين الإحدى وخمسين كانوا يذكرون أسماء السعداء كلهم كما يذكرها
جدهم محمد الباقر . وفي حق تعظيم سيدنا جعفر الصادق ومدحه ألف الإمام مالك رضي الله
عنه نحو تسعمائة مجلد وكان في زمانه أمير ظالم اسمه قروان قد ألقى تلك الكتب إلى نهر
النيل، ولم يأكل اللحم في خمسة وعشرين سنة لكون الحكام في زمانه منعوا الفقراء من أكل
اللحم ولا يحصل لديهم إلا رغيف واحد ولكونه معتبراً نفسه مثلهم لم يأكل ولو حصل له
شتى الأطعمة . وكانت الصحابة رضوان الله عليهم يتعجبون على كلامه الذي يتكلم بصوت
كل نبي عليهم السلام، رزقنا الله شفاعتهم وشفاعته . آمين .